حكايات الشعوب

الطاووس الأبيض

وحكايات أخرى
من إسبانيا



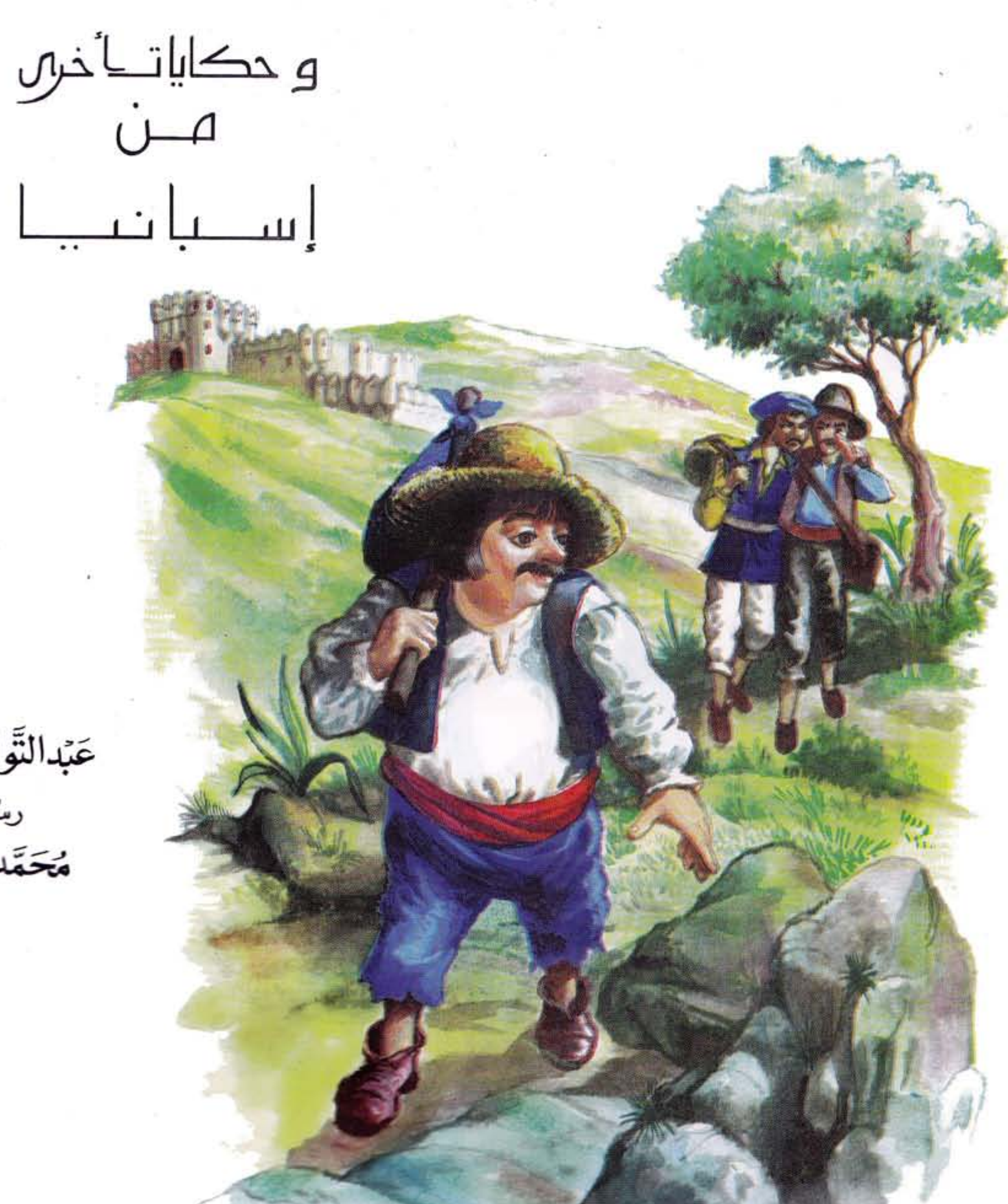
عبد التواب يوسف
رسوم : محمد نبيل

سفير

حكايات الشعوب

الطاووس الأبيض

و حكايات أخرى
من
إسبانيا



عبد التواب يوسف
رسوم
محمد نبيل



مقدمة

إسْبَانْيَا أَرْضُ الأَنْدَلُسِ العَرَبِيَّةُ العَـرِيقَةُ، التى استقرَّتْ فِيهَا العربيَّةُ علَى مدًى يَزِيدُ عَلَى سَبْـعِمائةٍ وَخَمسِينَ عَامًا، فَأَضَاءَتْ جنباتِهَا، فى الوَقْتِ الذِى كانَتْ فيهِ أوربا تَعِيشُ ظَلامَ العُصُورِ الوُسْطَى. .

وكَانَتِ الأَنْدَلُسُ رَافِدَ هَذِهِ الحَـضَارَةِ الزَّاهِرَةِ، وَفَاضَ خَيْرُهَا عَلَى كُلِّ البُلْدَانِ المجَاوِرَةِ المتَـخَلِّفَةِ فى كلِّ القَارَّةِ. . وَمِنْ هُنَا نَجِدُ أنَّ الحِكَايَـاتِ الشَّعْبِيَّـةَ الإسْبَانيَّـةَ الأَنْدلُسِيَّةَ أَجْـملُ وَأَرْوَعُ مِنْ كُلِّ مَا يَرْوونَهُ فى أُورُبَّا، كَـما أنَّهـا أَقْرَبُ إلينَا مِنْ كلِّ الحكَايَاتِ الأُورُبِـيةِ؛ لأنَّ فيهَا شَيْئًـا منَّا. . وَنَحْنُ لَمْ نَتْرُكْ لهُم فَحسْبُ تلكَ الآثارَ البدِيعَةَ الـفَرِيدَةَ فى أَرْضِ الجنُوبِ، بَلْ إنَّنا أَوْدَعْنَا عِندَهُمُ الحِكْمَةَ العَرَبِيَّةَ، والقِيمَةَ الإسْلاميَّةَ، بكلِّ ما فِيهَا مِنْ رَوْعَةٍ وَإبْهَـارٍ، فـانْسَـابَتْ فى تُرَاثِـهم وَأَدَبِهم، وَظَهَـرَتْ واضِـحَـةً جَليَّـةً فِى تِلكَ الحـكاياتِ التِى تَوَارَثُوهَا. . وَنَحْنُ لمْ نَتَـعمَّدِ اخْـتِيَـارَ مَا نُقَدِّمُهُ هُنَا، بحيـثُ يَكُونُ مُعَبِّرًا عَنْ هَذَا الذِى نَقُـولُهُ، لكنَّـنَا نقَلْنَا أَشْـهَـرَ مَـا لَدَيْهِم وَمَا يَعْتَزُّونَ بِهِ.

ونحنُ حِينَ نَقْـرأُ هَذِهِ الأَعْـمَـالَ نَشْعرُ بِحَنِينٍ طَاغٍ إلَى مَاضِينَا العَرِيقِ فى تِلكَ البِـلادِ، وَنَتَـذكَّـرُ مأْسَـاةَ سـقوطِهَـا، وَنُنَاضِلُ مِنْ أَجلِ ألا يَـتكَـرَّرَ ذَلِـكَ عَلَـى أىِّ أَرْضٍ عَربيَّةٍ أَوْ إسْلاميَّةٍ.

المؤلف



أَنَا أَكلْتُ الرَّغِيفَ

كَانُوا ثلاثَتُهم فِى طَرِيقِهم إِلَى بِلادِ العَرَبِ، هُمَا اثْنَان، وَثَالثُهمْ بَسِيطٌ سَاذَجٌ طَيِّبٌ، وَقَد اتَّفَقُوا فيمَا بَينَهمْ عَلَى أَنْ يَقْتَسِموا كُلَّ شَىءٍ خِلالَ رِحْلَتِهمُ الطَّوِيلَةِ الجمِيلَةِ، وتَعَاهَدُوا عَلَى المشَارَكَةِ فِى المُئُونَةِ، وَمَا مَعَهم مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ بِالعَدْلِ وَالقِسْطَاسِ.. غَيرَ أَنَّ مَا لَدَيْهم لَمْ يكْفِهم، ولَمْ يَتَبقَّ غَيرُ حَفْنَةٍ مِنْ دَقيقٍ، تَكَادُ تَصْلُحُ لِصُنْعِ رَغيفٍ مِنَ الخُبْزِ، لا أَكْثرَ.. وتَهَامَسَ الاثْنَانِ فيمَا بَينَهُمَا فِى صَوْتٍ خَفِيضٍ:

- أَنْتَ تَعْرِفُ أنَّهُ مَا عَادَ لدينَا مَا يكْفِينَا مِنَ الخبْزِ.. وَزَمِيلُنَا هَذَا يَأْكُلُ كَثِيرًا، ويَسْتَأْثِرُ بأَكْبرِ كَمِيَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ؛ لِذَلكَ يَجِبُ أنْ نُدبِّرَ أَمْرَنَا لِنَسْتَحوذَ عَلَى الرَّغِيفِ، أَوْ عَلَى أَغْلَبِهِ لِى ولَكَ.

وَافَقَ الشَّخْصُ الثَّانِى عَلَى فِكْرَةِ زَمِيلِه، وَعَلَى اقْتِرَاحِهِ، وبَدَأَ فى مُنَاقَشَةِ الطَّرِيقَةِ التى يُنفِّذَانِها بِهَا، وَيُحَقِّقَانِ غَرَضَهُما.. وَجَلَسَا إِلَى صَاحِبِهما السَّاذَجِ، وَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا:

- أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَتبقَّ لَنَا غَيرُ رَغِيفٍ وَاحِدٍ.

- أَعْرِفُ هذَا.

- وَرَأَيْتُ أنا وَصَدِيقى أَنْ نَضعَهُ فِى الفُرْنِ، لِنَخْبِزَهُ.. وَأَنْ نَنَامَ جَمِيعًا إِلَى أَنْ يَتمَّ خَبْزُهُ.

- لا مَانِعَ.

- وَعَلَيْنَا بَعْدَ أَنْ نَسْتَيقظَ أَنْ يحكِىَ كلٌّ مِنَّا عَنِ الحُلْمِ الذى رَآهُ فى أَثْنَاءِ النَّومِ، وَصَاحِبُ أَجْمَلِ حُلْمٍ لَهُ أنْ يَأْكُلَ الرَّغِيفَ وَحْدَهُ.

- لَمْ أَفْهَمْ!!

أَعَادَ الصَّاحِبُ عَلَى السَّاذَجِ اقْتِرَاحَهُ مَرَّتَينِ قَبلَ أنْ تَبدُوَ عَلَيهِ عَلامَاتُ الفَهْمِ، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُما شَدِيدَ الثِّقَةِ بِأَنَّ زَمِيلَهُما لَنْ

يَسْتَطِيعَ - لِسَذَاجَتِهِ - أَنْ يَبْتَكِرَ حُلْمًا جَمِيلا : وَبِذَلِكَ يَسْتَوليَان مِنْهُ عَلَى الرَّغِيف.. وقدْ وَثِقَ كلٌّ منهما بأنَّ هذه الخُطَّةَ سَتَنْجَحُ، وأَنَّ اللُّعْبَةَ سوفَ تَمرُّ عَلَيهِ دُونَ اكتشافِها.

قَامَ الشُّرَكَاءُ الثَّلاثَةُ بعَجْنِ الدَّقِيقِ، وإِعْدَادِهِ رَغيفًا، وَوَضَعُوهُ فِى الفُرْنِ، ثُمَّ لَزِمَ كُلٌّ مِنْهُم فِرَاشَهُ لكَى يَنَامَ، ولِكَى يحلُم حُلمًا أَجْملَ مِنْ حُلْمِ الاثْنَينِ الآخَرينِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَأْثِرَ وَحْدَهُ بالرَّغِيف.

تَقلَّبَ السَّاذَجُ فِى فِرَاشِهِ بَعْضَ الوقْت، بَينَما رَاحَ زَميلاهُ فِى نَومٍ عَمِيقٍ، وارتَفَعَ شَخِيرُهُما، بينَمَا كانَ هُو لا يَزَالُ يُحَاوِلُ النَّومَ، الذى لَمْ يُوَاتِه، ولَمْ يَغمُضْ لَهُ جَفْنٌ: هَلْ كَانَ ذَلِكَ لأَنَّهُ قَلِقٌ، ويَخْشَى أَلا يَرَى فِى أَثْنَاءِ نومِهِ حُلْمًا ؟!

كَانَ السَّاذَجُ أَذْكَى كَثِيرًا ممَّا يَظُنُّ زَمِيلاهُ.. هُوَ يَبْدُو كَذَلِكَ، لَكِنَّهُ فِى حَقِيقَتِهِ قَادِرٌ عَلَى كَشْفِ أَلاعِيبِ الذِينَ يُرِيدُونَ اسْتِغْلالَهُ، وَالإِيقَاعَ بِهِ.. إِنَّهُ لَمْ يَنَمْ لِسَبَبٍ آخَرَ، غَايَةٍ فِى البَسَاطَةِ.. لَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يُفَوِّتَ عَلَيهِما فُرْصَةَ انْتِزَاعِ الرَّغِيفِ مِنْهُ، وَمَا إِنِ اطْمَأَنَّ إِلَى أَنَّهُمَا قَدِ اسْتَغْرَقَا فِى النَّومِ حَتَّى قَامَ إِلَى الفُرْنِ، وَأَخرَجَ مِنْهُ الرَّغيفَ، ولَمْ يكُنْ قَدْ نَضِجَ تَمَامًا، إلا أَنَّهُ قَدْ أَصْبحَ صَالحًا لأَنْ يُؤكَلَ.. وقَطَعَ الرَّجُلُ ثُلُثَهُ، وأَعَادَ البَاقِى إِلَى الفُرْنِ، ثُمَّ جَلَسَ وأَكَلَ مَا قَطَعَهُ.. إِنَّهُ حَقُّهُ، وقَدِ اسْتَمتعَ كَثيرًا بِالْتِهَامِهِ.. وبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ إِلَى فِرَاشِهِ، يُرِيدُ أَنْ يَسْتَمتِعَ كَذَلِكَ بِنَومٍ هَادِئٍ عَميقٍ، لَعَلَّ حُلْمًا جَميلا يأْتِيهِ، وبِذَلِكَ يَحْصُلُ عَلَى بَقِيَّةِ الرَّغِيفِ.

وَفَجأَةً، اسْتَيقَظَ وَاحِدٌ مِنَ الرَّفِيقَين، كَأَنَّمَا حَدَثَ شَىءٌ خَطِيرٌ أَطَارَ النَّومَ مِنْ عَيْنَيهِ، وَصَاحَ يُوقِظُ الآخَرَين:

- انْهَضَا.. انهضَا.. لَقَدْ رَأَيتُ حُلْمًا لا يُصَدَّقُ.

فَتحَ السَّاذَجُ عَينَيهِ فِى بُطْءٍ وَتَثَاقُلٍ، وَسَأَلَهُ :

- مَاذَا هُنَالِكَ ؟!

- سَأَحْكِى لَكُمَا الحُلْمَ الذى رَأَيتُهُ.

- تَفَضَّلْ.

- لَقَدْ رَأَيْتُ نَفْسِى وَاقِفًا أَمَامَ أَبْوابِ الجنَّةِ.

هتَفَ السَّاذَجُ :

- الجَنَّة ؟!

- نَعمْ الجَنَّةِ . . وكَانَ هُنَاكَ اثْنَانِ يَقِـفَانِ عِنْدَهَا، ومَا إِنْ لَمحانِى حَـتَّى سَارَعَا يَفْتَحـانِ لِىَ الأَبْوَابَ، ويُرَحِّبَانِ بِى أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ. . هَلْ يُمكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَحْلُمَ مِثْلَ هَذَا الحُلْمِ الرّائِعِ؟ أَظُنُّ أَنَّ الرَّغِيفَ قَدْ أَصْبَحَ لِى وَحْدِى!

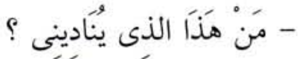
قَالَ السَّاذَجُ : بَلْ يَجِبُ أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَى حُلْمِ زَمِيلِنَا وَحُلْمِى .

- طَبْعًا طَبْعًا.

بَدأَ الزَّمِيلُ الثَّانِى يَرْوِى الحُلْمَ الذِى رآهُ :

- أَمَّا أَنَا، فَقَدْ جَاءَنِى أَيْضًا اثْنَانِ مِنَ الملائِكَةِ وَحَفَرَا فِى الأَرْضِ إِلَى أَنْ وَصَلا بِى إِلَى أَعْمَقِ أَعْمَاقِهَا. .

سَمِعَ السَّاذَجُ هَذَا كُلَّهُ، وَهُوَ يَتَظَاهَرُ بأَنَّهُ نَائِمٌ، ثُمَّ استَيقَظَ فَجأَةً، مَفْزُوعًا مُروَّعًا، وَهُوَ يَقُولُ :



- مَنْ هَذَا الذِى يُنَادِينِى ؟



- نَحْنُ زَمِيلاكَ .

- هَلْ عُدْتُمَا ؟

- إِلَى أَيْنَ ذَهَبْنَا حَتَّى نَعُودَ ؟

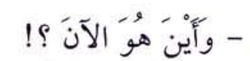
- سَأَحْكِى لَكُمَا مَا حَدَثَ.

- هَيَّا. . وَبِسُرْعَةٍ.

قَالَ السَّاذَجُ - وَمَا هُوَ بِسَاذَجٍ - :

- لَقَدْ صَحَـوْتُ قَبْلَكُمَا بِقَلِيلٍ، وَخَشِـيتُ أَنْ يَحْتَـرِقَ الرَّغِيفُ فِى الفُرْنِ، فَأَخْـرَجْتُهُ، وَتَركْتُـهُ يَبْرُدُ فِى مَكَانٍ أَمِينٍ مِنْ أَجْلِ صَاحِبِهِ الذِى سَيَفُوزُ بِهِ، وَهُوَ الذِى رَأَى أَجْمَلَ حُلْمٍ.

صَاحَ أَحَدُ الزَّمِيلَيْنِ :



- وَأَيْنَ هُوَ الآنَ ؟!

- سَوْفَ تَعْرِفُ، وَكُنْ حَلِيمًا مَعِى.

صَرَخَ الثَّانِى :

- تكَلَّمْ.. أَكْمِلْ.

- هَلْ رَأَيْتَ حُلْمًا فى أَثْنَاءِ نَوْمِكَ ؟

قَالَ السَّاذَجُ فِى هُدُوءٍ :

- نَعَمْ.. رَأَيْتُ حُلْمينِ، فِى الأَوَّلِ جَاءَ مَلَكَانِ وَأَخَذَا أَحَدَكُمَا، وَمَضَيَا بِهِ إِلَى الجَنَّةِ.

- هَذَا هُوَ أَنَا.. وَذَلِكَ هُوَ مَا حَلَمْتُ بِهِ.

صَاحَ الآخَرُ :

- وَاصِلْ حَدِيثَكَ.

- فِى الحُلْمِ الثَّانِى جَاءَ مَلَكَانِ آخَرانِ، وَأَخَذَا زَمِيلَنَا إِلَى جَهَنَّمَ فِى بَاطِنِ الأَرْضِ، إِذْ إِنَّ هُنَاكَ نَارًا رَهِيبَةً.

- هَلْ هَذَا وَذَاكَ مَا رَأَيْتَ فى أَثْنَاءِ نَوْمِكَ ؟

قَالَ السَّاذَجُ :

- نَعَمْ.. وَقَدْ رَأَيْتُمَا أَنْتُمَا الحُلْمَينِ تَأْكِيدًا وَإِثْبَاتًا لِصِدْقِ قَوْلِى.

- لَكِنْ مَا الذى حَدَثَ لِلرَّغِيفِ ؟

- أَيْنَ هُوَ ؟

قَالَ مَنْ ظَنُّوهُ سَاذَجًا :

- لَقَدْ صَحَوْتُ قَبْلَكُمَا، لَكِنَّنِى لَمْ أَعْثُرْ فِى الفُرْنِ إِلا عَلَى ثُلُثَى رَغِيفٍ.. وَلَمَّا كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكُمَا لَنْ تَعُودَا؛ إِذْ إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمَا قَدْ مَضَى إِلَى الجَنَّةِ، وَالثَّانِى قَدْ أُلْقِىَ بِهِ فِى النَّارِ؛ لِذَلِكَ فَقَدْ أَكَلْتُ الرَّغِيفَ.. نَعَمْ، أَنَا أَكَلْتُ الرَّغِيفَ.

الطاووس الأبيض

كَانَ هُنَاكَ طَاووسٌ أَبْيَضُ.. وَهُوَ لمْ يكُنِ الطَّاووسَ الأَبْيَضَ الوَحِيدَ فِى لَشْبُونَةَ وَحْدَهَا، أَوْ فِى إِسْبَانيَا فَقَطْ، لكنَّهُ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ لا يُوجَدُ غَيرُهُ فِى كُلِّ الدُّنْيَا.. وَكَانَ جَميلاً.. جَميلاً.. جَميلاً.. إِلَى حَدٍّ أَنَّنَا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصفَ بَهاءَهُ.. مَا يكَادُ يَسيرُ فِى أَرْجَاءِ حَديقَةِ القَصْرِ حَتَّى يَسْتَرْعِىَ الأَنْظَارَ وَيَشُدَّ الانْتبَاهَ، وَمَا يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَرفَعَ بَصرَهُ عَنْهُ، وَلابُدَّ لِكُلِّ مَنْ يَرَاهُ أَنْ يَهْتِفَ بِكَلِماتِ الإِعْجَابِ الشَّدِيدِ، فَاتِحًا عَيْنَيْهِ وَفَمَهُ فِى انْبِهَارٍ :

- يَا أَللَّهُ عَلَى جَمَالِه.

وَكَانَ الطَّاووسُ الأَبْيَضُ يُدْرِكُ ذَلِكَ؛ لِهَذَا كَانَ يَتَمَشَّى بِخُطُوَاتٍ وَئِيدَةٍ، قَصيرَةٍ، رَافِعًا رَأْسَهُ لِلسَّمَاءِ، مَادا رَقَبَتَهُ فِى اعْتِزَازٍ وَخُيَلاءَ، بَاسِطًا ذَيْلَهُ فِى نِصفِ دَائِرَةٍ، يُشكِّلُهَا رِيشُهُ فِى نَسَقٍ بَدِيعٍ...



- مَا أَرْوَعَ صَنِيعَكَ يَا أَللَّهُ.

وَيَمْضِى الطَّاووسُ الأَبْيَضُ تُجَاهَ بُحَيْرَةِ البَطِّ، يَتَهَادَى فِى صَمْتٍ وَوَقَارٍ، كَأَنَّمَا يَقُولُ لِلْجَمِيعِ :

- انْظُرُوا.. واسْتَمْتِعُوا.. هَلْ رَأَيْتُمْ لِى مَثِيلاً ؟

وَهُوَ يَتَطَلَّعُ هُنَا وَهُنَاكَ، وَيُلْقِى بِنَظْرَةٍ إِلَى هَذَا أَوْ ذَاكَ، وَسُرْعَانَ مَا يَسْتَرِدُّهَا، هُوَ وَحْدَهُ الجَدِيرُ بِأَنْ يَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ الجَمِيعُ، وَيُرَكِّزَ الكُلُّ بَصَرَهُ عَلَيْهِ.. وَعِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى البُحَيْرَةِ يَنْظُرُ إِلَى صُورَتِهِ عَلَى سَطْحِ مَائِهَا الصَّافِى وَيَتَملَّى فِيهَا، وَيَتَمنَّى لَوْ أَنَّهُ لا يُغَادِرُهَا أَبَدًا، وَيَرْجُو لَوْ أَنَّهُ بَقِىَ طَوَالَ يَوْمِهِ

يَتمتَّعُ بِهَا . . وَمَا أَجْدَرَهَا بِذَلِكَ، وَهِىَ تَسْتَحِقُّهُ بِدُونِ شَكٍّ.

مَا مِـن أَحَدٍ فِى لَشْـبُونَةَ، أَوْ فِى إِسْـبَانيَـا، أَوْ فِى العَالَمِ كُلِّـه إلا شَعَـرَ بِالغَيْـرَةِ مِنْ هَذَا الطَّـاووسِ الأَبْيضِ . . وخَاصَّـةً جَلالَةَ المَلِكَةِ، صَاحِبَةِ القَصْرِ، التِى اقْتَنت الطَّاووسَ ثُمَّ أَحَسَّتْ أَنَّهُ يَجْذِبُ إِلَيْهِ الأَنْظَارَ، فَلا تَتَّجِهُ إِلَيْهَا.

– كَيفَ يَهتَمُّ النَّاسُ بِهذَا الطَّاووسِ أَكْثَرَ مِنَ اهتِمَامِهِم بِى، أَنَا «المَلِكَة» ؟!

كَانَتْ جَلالَتُـهَا سَمِينَةً بَدِينَةً، وَإِذَا مَا سَـارَتْ فِى أَبْهَاءِ القَصْرِ أَوِ الحَديـقَةِ تَرَجْرَجَ لَحمُهَـا، وَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّاسُ بِجَانِبِ عُيُونِهِم حَاوَلُوا أَنْ يَكتُمُوا ضَحِكَاتِهِم وَأَنْ يُخْفُوا ابْتِسَامَتَهم؛ الأَمْرُ الذى كَانَتْ تَعْرِفُه تَمَامَ المعْرِفَةِ، وتَضِيقُ بِهِ كُلَّ الضِّيقِ؛ لِذَلِكَ نَشِبَتْ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّاووسِ الأَبْيَضِ مَعْرَكَةٌ . . كَانَتْ فِى البِدَايَةِ صَامِتَةً . . هُوَ يَتَعَالَى عَلَيها، وَهِىَ قَرَّرَتْ أَنْ تَقْضِىَ عَلَى صَلَفِهِ وَكِبْريَائِه وَغُرُورِهِ، بِشكْلٍ أَوْ بِآخَرَ؛ لِتَكُونَ وَحْدَهَا مَحَطَّ الأَنْظَارِ.

أَقْبَلَ الصَّيْفُ . .

وَهُوَ فِى لَشـبُـونةَ فِى جَنُوبِ إِسْـبَانيـا شَـدِيدُ الحَرَارَةِ، وَلَكِنَّ غَضَبَ جَـلالَةِ المَلِكَةِ البَدِينَةِ عَلَى طَاوُوسِـهَـا الأَبْيَضِ كَـانَ أَشَـدَّ حَـرَارَةً، لِذَلِكَ اسْتَدْعَتْ إِلَيهَا رَئِيسَ الخَدَمِ، وَقَالَتْ لَهُ :

– هَـذَا الـطَّاووسُ الأَبْـيَـضُ يَحْتَـاجُ مِنَّا أَنْ نُـلَقِّنَهُ دَرْسًـا فِى التَّـوَاضُعِ لا يَنْسَاهُ أَبَدًا . . سَـوفَ أُقِيمُ حَفْلا فَاخِـرًا فِى القَصْرِ أَدْعُو إِلَيهِ أَصْـحَابَ الفَـخَامَةِ والسُّـمُوِّ والرِّفْـعَـةِ فِى البِـلادِ، وَلا أُرِيدُ لِهـذَا الـطَّـاووسِ الأَبْـيـضِ أَنْ يَخْـطَـفَ مِـنِّـى الأَضْوَاءَ، لِذَلِكَ اذْهَبُوا وَقُصُّوا لِى ذَيْلَهُ، وانْتَــزِعُــوه، مِنْ أَجْلِ أَنْ أَسْـتَخْـدِمَهُ مِـروَحَةً، تُخـفِّفُ عَنِّى حَرَارَةَ الجَوِّ !

فَزِعَ كَـبِيرُ الخَـدَمِ لِذَلِكَ، وَعِنْدَمَا نَقَلَ أَوَامِرَ جَلالَةِ المَلِكَةِ إِلَى مُعَاوِنِيهِ أَبْدَوا دَهْشَةً

شَديدَةً، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ بَعْضَهُمْ مِنْ أَنْ يَهْتِفَ :

- إِنَّهُ يَسْتَحِقُّ هَذَا !

وَعِنْدَمَا عَلِمَ الطَّاوُوسُ الأَبْيَضُ بِالأَمْرِ نَزَلَ عَلَيهِ كَالصَّاعِقَةِ، وَاشْتَدَّ بِهِ الذُّعْرُ، وَخَافَ مِنْ أَنْ يَفْقِدَ ذَيْلَهُ الجَميلَ، الذى يَعْتَزُّ بِهِ كُلَّ الاعْتِزَازِ، وَاضْطَرَبَ، وَلَمْ يَعُدْ يَبْسُطُهُ عَلَى الإِطْلاقِ، بَلْ جَمَعَ ريشَهُ، وَحَاوَلَ أَنْ يُخْفِيَهُ، وَمَشَى بَائِسًا، مُنَكَّسَ الرَّأْسِ، دَامِعَ العَيْنَيْنِ، كَأَنَّهُ دَجَاجَةٌ ذَلِيلَةٌ أَهْمَلَهَا الدِّيكُ.



هَمَسَ الطَّاوُوسُ الأَبْيَضُ لِنَفْسِهِ :

- يَجِبُ أَلا أَرْضَخَ لِهَذَا الأَمْرِ الجَائِرِ والقَرَارِ الظَّالِمِ.. لابُدَّ لِى مِنْ أَنْ أَجِدَ حَلا.. مَاذَنْبِى وَقَدْ خَلَقَنِى اللَّهُ جَميلا ؟!.. وَجَاءَهُ الرَّدُّ مِنْ دَاخِلِهِ :

- لَكَ أَنْ تَعْتَزَّ بِجَمَالِكَ، لا أَنْ تَغْتَرَّ بِهِ، وَتَتِيهَ عَلَى كُلِّ المخلُوقَاتِ وَخَاصَّةً هَذِهِ التِى تَرْعَاكَ!..وَمِنْ جَديدٍ، قَالَ :

- لَكِنَّنِى يَجِبُ أَنْ أُحَافِظَ عَلَى هَذَا

الجَمَالِ، وأَنْ أُقَاتِلَ مِنْ أَجْلِهِ، ولَوْ ضِدَّ الملِكَةِ !

وَخطَرَتْ عَلَى بَالِه فِكْرَةٌ، سُرْعَانَ مَا عَمِلَ عَلَى تَنْفِيذِهَا.. اتَّجَهَ نَحْوَ القَصْرِ هَادِئًا وَدِيعًا، يَسِيرُ فِى ضَعْفٍ وَهَوَانٍ، وَصعدَ السُّلَّمَ، وَقَد انْكَمَشَ عَلَى نَفْسِه، وَطَوَى رِيشَهُ، وَمَضَى إِلَى غُرْفَةِ المَلِكَةِ مُبَاشَرَةً، وَلَمْ يَعْتَرِضْ طَرِيقَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ إِنَّهُمْ أَشْفَقُوا عَلَيه إِزَاءَ مِحْنَتِهِ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ التَّفْكِيرِ .. وَطَرَقَ بَابَ جَلالَتِهَا، وَدَخَلَ إِلَيْهَا لِيَنْحَنِى وَيَقُول :

- مَولاتِى، مَا السَّبِيلُ لِكَى أُنْقِذَ ذَيلِى وَأَحْتَفِظَ بِهِ ؟

- لَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّهُ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ تَتَخلَّصَ مِنْهُ وَتَتَخَلَّى عَنْهُ.

قَالَ الطَّاوُوسُ الأَبْيَضُ فِى صَوْتٍ تُبَطِّنُهُ الدُّمُوعُ :

- إِنَّهُ كُلُّ مَا أَمْلِكُ.. وَمَا مِنْ شَىءٍ لِى سِوَاهُ !

- هَذِهِ هِىَ الوَسِيلَةُ لِكَى نُنْهِىَ غُرُورَكَ وَصَلَفَكَ.

- مَا حَدَثَ أَعَادَنِى إِلَى صَوَابِى.

- عَلَيْكَ أَنْ تُبَرْهِنَ عَلَى ذَلِكَ، وَتُثْبِتَهُ، وَتُقَدِّمَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ.

سَادَتْ لَحْظَةُ صَمْتٍ، كَانَ مِنَ الوَاضِحِ أَنَّ الطَّاوُوسَ الأَبْيَضَ يُمْعِنُ خِلالَهَا فِى التَّفْكِيرِ فِى شَىءٍ مَا يُرْضِى بِهِ جَلالَةَ المَلِكَةِ.. وَبَعْدَ حِينٍ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ فِى صَوْتٍ هَادِئٍ يَسْتَعْطِفُهَا :





- غدًا يُقَامُ الحَفْلُ الكَبِيرُ. . وَسَوْفَ أَذْهَبُ لِكَى آخُذَ حَمَّامًا دَافِئًا، وأَغْتَسِلَ، لِكَى أَبْدُو نَظِيفًا، و«أَكْثَرَ بَيَاضًا»، وَعِنْدَمَا تَجْلِسِينَ جَلالَتُكِ عَلَى العَرْشِ سَوْفَ أَتَسَلَّلُ مِنْ وَرَائِكِ، دُونَ أَنْ أَلْفِتَ الأَنْظَارَ، وأَقِفُ مِنْ خَلْفِ العَرْشِ، وَأَهُزُّ ذَيْلِى كَأَنَّهُ مِرْوَحَةٌ. . سَوْفَ أَكُونُ مُخْتَفِيًا تَمَامًا، ولَنْ يَرَانِى أَحَدٌ. . فَقَطْ: ذَيْلِى يَرْتَفِعُ وَيَنْخَفِضُ، وَيَتَحَرَّكُ يَمِينًا وَشِمَالا، وَيُهَفْهِفُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْ جَلالَتِكِ حَرَارَةَ الجَوِّ. . كَمْ سَيَكُونُ هَذَا المَنْظَرُ بَدِيعًا وَأَخَّاذًا وَجَذَّابًا. .

تَصَوَّرَتِ المَلِكَةُ هَذَا المَشْهَدَ، وَرَأَتْ أَنَّهُ فِعْلا مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ بَدِيعًا، وَرَائِعًا، فَقَالَتْ لِلطَّاوُوسِ الأَبْيَضِ:

- إِنَّهَا فِكْرَةٌ لا بَأْسَ بِهَا، وَلَكِنَّهَا تَحْتَاجُ مِنْكَ إِلَى تَدْرِيبٍ طَوِيلٍ، خَاصَّةً أَنَّكَ إِذَا لَفَتَّ إِلَيْكَ الأَنْظَارَ فَلَنْ يَطِيرَ مِنْكَ ذَيْلُكَ فَقَطْ.

ضَحِكَ الطَّاووسُ الأَبْيَضُ لِيُخَفِّفَ مِنْ تَوَتُّرِ المَوْقِفِ، وَقَالَ :

- أَعْرِفُ أَنَّ رَأْسِى أَيْضًا سَيَطِيرُ.

ابْتَسَمَتِ المَلِكَةُ وَقَالَتْ : إِذَا كُنْتَ قَدْ أَدْرَكْتَ هَذَا، فَاذْهَبْ وَحَاوِلْ أَنْ تُتْقِنَ مُهِمَّتَكَ.



غَـادَرَ الطَّاووسُ الأَبْيَـضُ المكَانَ، وَهُوَ يَشْعُـرُ بِارْتِياحٍ عَـميقٍ.. ولَمْ يَنَمْ طيلَـةَ لَيْلَتِـهِ؛ إِذْ رَاحَ يَتَـدَرَّبُ عَلَى تَحْرِيكِ ذَيْلِه، كَمروَحَـةٍ حَيَّةٍ، تُهَفْهِفُ وَتُرَفْرِفُ مِنْ حَوْلِ الْمَلِكَةِ، دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَـدٌ أَوْ تقعَ عَلَيْهِ عيُـونُ الضُّيُوفِ.. وكَـانَ يَقُولُ لِنَفْسِـهِ فِي أَثْنَاءِ التَّمْرِينِ وَالتَّـدْرِيبِ وأَيْضًـا خِلالَ مُـمَـارَسَتِـهِ لِمُـهِمَّـتِه هَذِهِ فِي اليَـوْمِ التَّالِي خِـلالَ الحَفْلِ الكَبِيرِ :

- لاشَكَّ أَنَّ دُنْيَانَا مَلِيئَةٌ بِالطَّواوِيسِ الجَـمِيلَةِ.. ولَسْتُ أَظُـنُّنِي الطَّاووسَ الأَبْيَضَ الوَحِـيدَ فِي هَذَا العَـالَمِ، فَإِنَّ الذِي خَلَقَنِي قَادِرٌ عَلَـى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلِي بِالعَـشَـرَاتِ، وَرُبَّمَـا بِالمِئَـاتِ، بَلْ وَالأُلُوفِ، بَيْنَمَا كُـنْتُ أَنَا وَحْدِي الذِي ضَاقَ بِهِ الجَمِيعُ بِـسَبَبِ غُرُورِهِ .. مَاذَا لَوْ أَنَّنِي فِعْلا قَدْ فَقَدْتُ ذَيْلِي ؟!.. لَوْ أَنَّ هَذَا حَدَثَ - لا قَدَّرَ الـلَّهُ - مَا بَقِيتُ طَاووسًا.. كُنْتُ سَـأَنْتَهِي إِلَى الأَبَدِ، جَمِـيلٌ أَنِّي اسْتَـخْدَمْتُ رَأْسِـي بَدَلا مِنْ ذَيْلِي، وَفَكَّرْتُ وَتَوَصَّلْتُ إِلَى هَذَا الحَلِّ الجَمِيلِ.

كَـانَتْ هَذِهِ هِيَ الأَفْكَارَ التِي خَطَرَتْ عَلَـى بَالِ الطَّاووسِ وَهُوَ يُرَوِّحُ عَنْ جَـلالَةِ الْمَلِكَةِ فِي أَثْنَاءِ جُلُوسِـهَـا عَلَى عَرْشِـهَا فِي الحَـفْلِ، وَقَد احْتَـفَى بِهَا الكُبَـرَاءُ وَالعُظَمَاءُ، وَتَطَلَّعُـوا بِدَهْشَةٍ إِلَى هَذِهِ الْمُهِـمَّةِ الجَلِيلَةِ التِي يَنْـهَضُ بِهَا الطَّاووسُ الأَبْيَضُ، وَأُعْـجِبُـوا بِهَا أَكْـثَرَ مِنْ إِعْـجَابِهِمْ بِهِ.. أَخِـيرًا أَصْـبَحَ لَهُ عَمَلٌ يُؤَدِّيهِ.. بَدَلا مِنْ هَذَا الـغُرُورِ وَالتَّعَالِي.

وَشَعَرَ أَهْلُ لَشْبُونَةَ بِالارْتِيَاحِ؛ لأَنَّ الطَّاووسَ الأَبْيَضَ لَمْ يَفْقِدْ ذَيْلَهُ، بَعْدَ أَنِ اسْتَخْدَمَ رَأْسَهُ.

رِحْلَةٌ قَصِيرَةٌ إِلَى إِسْبَانْيَا

بِلادٌ جَمِيلَةٌ، شَمْسُهَا مُـشْرِقَةٌ، تَشْتَهِرُ بِمُصَارَعَةِ الثِّيرَانِ.. وكُرَةِ القَـدَمِ وأَيْضًا بِالقِلاعِ وَالقُصُورِ التى يَزِيدُ عَدَدُهَا عَلَى ١٤٠٠ .

كَانَتْ إِسْبَانيا قَدْ دَخَلَهَا أَجَانِبُ كَثِيرُونَ:

* حكَمهَا الفِينِيقيُّونَ - أَهْلُ سَاحِلِ الشَّامِ: لُبْنَان وَسُورِيَّا وَالأردُن - نَحوَ ثَلاثَةِ آلافِ سَنَةٍ.

* اسْتَولَى عَلَيها القـرطاجنيون الإِفْرِيقيُّونَ، وعَاشُـوا قُرْبَ مَدِينَةِ تُونسَ الحَالِيةِ، وأَشْـهَرُ قُوَّادِهم «هانيبال» الذى تَجاوزَ إِسْبَانيا حَتَّى وَصَلَ إِلَى إِيطَاليَا، وَهَزَمَ الرُّومَانَ فِى عُقْرِ دَارِهِم.

* أَصْبَحتْ بَعْدَ فَتْرةٍ جُزْءًا مِنَ الإِمْبرَاطُوريَّةِ الرُّومَانِيَّةِ.





* فَتَحَهَا العَرَبُ وَالمُسْلِمُونَ، وَصَارَتْ أَعْظَمَ مَوَاقِعِ الحَضَارَةِ الإِسْلامِيَّةِ العَرَبِيَّةِ الزَّاهِرَةِ طِيلَةَ (٧٥٠) عَامًا.

* كَانَ العَرَبُ يُسَمُّونَها «الأَنْدَلُس»، وَقَدْ سَقَطَتْ بَعْدَ ذَلِكَ سُقُوطًا مُدَوِّيًا بَيْنَ أَيْدِى الأُوربيِّينَ.

* اسْتَطَاعَ «كريستوفر كولمبس» اكْتِشَافَ أمريكا وَأَعْلَنَتْ إِسْبَانيا امْتِلاكَهَا لَهَا، واسْتَعمرتْهَا، وبِذَلِكَ اسْتَولَتْ عَلَى كَمٍّ كَبِيرٍ مِنَ الذَّهَبِ جَعَلَهَا وَاحِدَةً مِنْ أَغْنَى بُلْدَانِ العَالَمِ عَامَ (١٥٠٠م).

دَخَلتْ إِسْبَانيا حُرُوبًا كَثِيرةً خَارِجيَّةً وَدَاخِليَّةً أَفْقَدَتْهَا ثَرْوَتَهَا الكَبِيرَةَ، فَصَارَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَفْقَرِ بُلْدَانِ أُوربَّا.

شَتَّانَ مَا بَيْنَ مَاضِيهَا القَرِيبِ وَحَاضِرِهَا الذى تَعْتَمِدُ فِيهِ عَلَى السِّيَاحَةِ وَبَعْضِ المحَاصِيلِ الزِّرَاعِيَّةِ؛ حَيْثُ يَعْمَلُ نِصْفُ السُّكَّانِ فِى الزِّرَاعَةِ.

تَشْتَرِكُ إِسْبَانيا والبُرْتغالُ فِى شِبْهِ جَزِيرَةِ أَيبريا، وَإِنْ كَانَتْ إِنْجلترا تَحْتَفِظُ بِمضيقِ جَبَلِ طَارِق، وَمِسَاحَتُهَا تَزِيدُ قَلِيلا عَلَى نِصفِ مِسَاحَةِ مِصْرَ؛ إِذْ إِنَّهَا تَمْتَلِكُ أَرَاضِىَ أُخْرَى خَارِجَ حُدُودِهَا تَصِلُ إِلَى ثُلُثِ مِسَاحَتِهَا.

العِيدُ القَومِىُّ لإِسْبَانيَا يُوَافِقُ الثَّانِى مِنْ مَايو مِنْ كُلِّ عَامٍ احْتِفَالا بِثَورَتِهَا ضِدَّ «نابليون بونابرت» يَومَ (٢من مَايو سنة ١٨٠٨م).

وَعُمْلَةُ إِسْبَانيا اسْمُهَا «بيزيتا».

فهرس

رقم الإيداع ٣٠٥٤ / ٩٨ الترقيم الدولي: ISBN : 977 - 261 - 597 - 5



حكايات الشعوب

تؤلِّف الشعوب حكايتها الجميلة، تنبت لها أجنحةً، ترفرف بها وتطير مهاجرة حُرَّة لا تعرف الحدود أو القيود، تهبط فى هذه السلسلة فوق شجرتنا، تغرد، تغنى، تمتعنا، وتحلق عاليًا، تزيد من معرفتنا للإنسان فى كل زمان ومكان، تخاطب فينا وجداننا وعقولنا، وتثير فينا حُبا للشعوب والناس والحياة على كوكبنا، هى حكايات ملونة، عذبة، جذابة، شيقة، رشيقة.

عناوين السلسلة

* توكيتارو. وحكايات أخرى من اليابان.
* هونشى وحكايات أخرى من اليابان.
* بيت العنكبوت وحكايات أخرى من إفريقيا.
* الفراشة الصفراء وحكايات أخرى من إفريقيا.
* دون دمينينو وحكايات أخرى من إسبانيا.
* الطاووس الأبيض وحكايات أخرى من إسبانيا.
* حضرة العمدة وحكايات أخرى من السُّلاف.
* من يفوز وحكايات أخرى من السُّلاف.
* إن شاء الله وحكايات أخرى من إندونيسيا.
* تل النمل وحكايات أخرى من إندونيسيا.
* قوس قزح وحكايات أخرى عن الهنود الحمر.
* آكل السحب وحكايات أخرى عن الهنود الحمر

6 222002 115825

سفير ٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة - ص. ب: ٤٢٥ الدقى ت: ٣٣٧٩٧٥٢ - ٣٣٥٣٧١١ - ٣٣٥٣٧١٢ - ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩